أسس الحوار الحضاري بين المجتمعات الاسلامية والغربية
– دراسة سوسيولوجية نقدية لأسباب الفشل–

د. محمد خشمون

جامعة باتنة الجزائر – الجزائر

الملخص :

تهدف هذه المقالة أساسا إلى إبراز الفرق بين الأسس العقلية والثقافية، التي يقوم عليها الحوار الحضاري والثقافي عند المجتمعات الاسلامية، وبين الأسس العقلية والثقافية التي يقوم عليها الحوار الحضاري والثقافي عند المجتمعات الغربية، وذلك من خلال رؤية نقدية، تتعمق في الأبعاد الاجتماعية التي تقوم عليها ثقافة وطريقة تفكير كل من المجتمعين، المختلفين من حيث البنية الاجتماعية، والتركيبة المجتمعية والجذور التاريخية. وقد تم التوصول، إلى أن هذه الأسس عند العرب غالبا ما تبنى على العاطفة والتعصب، وعدم تقبل ثقافة الآخر، وفي مقابل ذلك تبنى هذه الأسس عند الغربيين على النظرة الاستعلائية، وربما حتى الإحتقارية للعرب والمسلمين، نتيجة الصورة الذهنية السيئة التي رسمتها لهم وسائل الاعلام الغربية، وأكدوها هم من خلال نزعاتهم الطائفية وتعصبهم الفكري والديني وممارساتهم العنصرية، مما يشكل صعوبة حقيقية وعائق فعلي، أمام نجاح الحوار الفكري الحضاري بين المجتمعات العربية ونظيراتها الغربية.

Abstract:

This article aims to clarify the difference between the fundamentals of civilized dialogue between Muslims and Westerners, through a critical study, Which looks at the social dimensions of the culture of each community and its histoiry. We found that these foundations among the Arabs is based on intolerance and fanaticism, and not to accept the culture of the other, Because of the bad mental image made by the Western media. that makes a real problem and a practical barrier to the success of the intellectual dialogue between the Arab and Western societies.

مقدمة:

لا شك أن موضوع حوار الحضارات من الموضوعات، التي فرضت نفسها بنفسها في عالمنا المعاصر، نتيجة الضريبة الكبيرة التي دفعها العالم، بفعل صراع هذه الحضارات وحرب الثقافات التي عرفتها مختلف المجتمعات عبر التاريخ، والتي كانت نتائجها كارثية على الإنسانية، فبدل فكرة عدم قبول الآخر، ومحاربته ومحاولة السيطرة عليه، وغزوه ثقافيا واقتصاديا وسياسيا، بل وحتى عسكريا في بعض الأحيان، بفعل العولمة الآن، سادت في العالم وبعد الحرب العالمية الثانية بشكل خاص، فكرة كانت تبدو

جديدة في ذلك الوقت سواء بالنسبة للمسلمين أو حتى الغربيين، تدعو إلى محاولة التعايش السلمي، وتقبل الخصوصيات الثقافية، واحترام المعتقدات الدينية للآخر، ولكن هذه الفكرة في الحقيقة واجهت ومازالت تواجه عوائق وعراقيل كثيرة، ترجع بالدرجة الأولى إلى الأسس الفكرية والمنطلقات العقلية للحوار الفكري لكل ثقافة أو حضارة، فهناك من هذه الحضارات من تتخذ منهج العلم والعقل والمنطق والوضعية المادية المحسوسة، في التعاطي والإقناع والإقتناع، وهناك منها من يجعل من هذه الأمور في الدرجة الثانية، لأن أفرادها يرون أن المعتقدات الدينية أسمى وأرقى من العقل والمنطق، فهي لا تقبل الشك ولا تحتمل النقاش أو الجدل، وأن من يفعل هذا هو بالتأكيد آثم، وتمثل هذه الفكرة بالذات موضوع هذه المقالة، التي تتناول بالتحليل والدراسة مفهومي صراع وحوار الحضارات، وتتعرض كذلك إلى مرتكزات وأسس الحوار الفكرية والعقلية، عند كل من العرب المسلمين والغرب غير المسلمين، وأخيرا، سيتم عقد مقارنة بينهما، للوصول من خلالها إلى معرفة العوائق الحقيقة في وجه هذا الحوار، والبحث عن سبل معالجتها .

1- دراسة تحليلية لمفهومي صراع وحوار الحضارات:

قبل التطرق لهذا العنصر، لابد أن نتعرف أولا على مفهومي الحضارة والثقافة، وعن الحدود الفاصلة بينهما، حيث يعتبر مفهوم الحضارة من المفاهيم المحورية التي لاقت رواجا في علم الاجتماع خاصة، والعلوم الاجتماعية عامة، حيث لا نجد مفهوما موحدا ومحددا لها، وإنما اختلفت تعريفات العلماء والباحثين باختلاف عقائدهم الفكرية ومرجعياتهم المذهبية، ومدارسهم الأيديولوجية، فمنهم من يرى أن الحضارة هي" :ذلك الطور الأرقى في سلم تقدم الإنسان) "توفيق محمد سبع، د.ت(31 :، ومنهم من يرى أنها تعني ":الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة؛ فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية) "..المرجع السابق(31:، وهنا تبدو الاشارة واضحة إلى الحضارة بقسميها، المادي والروحي، وهو ما يتوافق مع الفطرة الإنسانية، ويتجاوب مع مشاعر الانسان وعواطفه وحاجاته، وفي الحقيقة نرى أن الحضارة هي ذلك التطور والرقي والكل المتكامل، الذي يمس مختلف جوانب الحياة المادية والروحية والمعنوية، فالجوانب المادية تشمل الأشياء الملموسة، وكل ما يندرج ضمنها من نمط معماري وطرق اتصال ومواصلات، ومختلف طرق تلبية الحاجات البيولوجية، أما الجوانب المعنوية، فتتعلق بطرق السلوك والتعامل مع الآخر، ومع البيئية المحيطة، وبكل ما يحمل مشاعر النبل والرقي في التصرفات والأفكار، ومن هنا نجد أن الحضارة تختلف على مفهوم الثقافة التي تعني مختلف الطرق التي تتخذها المجتمعات في تلبية حاجاتها البيولوجية والمعنوية، بمفاهيم الرقي والتطور والسمو، ويعتبر التعريف الذي قدمه " تايلر "للثقافة، في كتابه" الثقافة البدائية) "سنة(1871 ، من أكثر التعريفات شيوعا بين علماء الاجتماع، فهو يرى أن الثقافة هي ذلك" :الكل المعقد الذي يشمل على المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات والقدرات الأخرى، التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع) ."محمد عبده محجوب، 2008: 55)

وبهذا تكون الحضارة هي أرقى وأسمى درجة تصلها ثقافة مجتمع ما، بالمقارنة مع المجتمعات الأخرى، إلا أن السمة المشتركة بين مفهومي الحضارة والثقافة هي سمة الاختلاف، فالثقافة مهما وصفت بأنها متخلفة، فإنها متنوعة والحضارة مهما كانت متقدمة ومتطورة، فهي كذلك متنوعة من حيث الطرق والأساليب، فكما أن لكل مجتمع ثقافته التي تميزه عن الآخر، فإن لكل حضارة خصائصها وسماتها التي تتميز بها عن الحضارات الأخرى، وهذا ما يجعل الكثير من الباحثين يمازجون في كلامهم بين مصطلحي الثقافة والحضارة.

ومن خلال الدراسة التاريخية لمختلف الحضارات والثقافات في العالم، نجد أن أغلبها كانت تعيش في حالة من الصراع، فما إن تقوم حضارة إلا وحاولت القضاء على الأخرى، لتحافظ على بقائها واستمرارها، فكأن العالم لا يقبل تعدد الحضارات في زمن واحد، وأن البقاء لابد أن يكون للأقوى .

وتمتد جذور الصراع بين الحضارات إلى عهد الحضارتين اليونانية والرومانية، اللتين عرفتا معارك طاحنة، بقيت أخبارها تتناقل عبر التاريخ، وكذلك الصراع بين الحضارتين في الشرق والغرب، الذي مازال مستمرا إلى حد الآن، بل وحتى داخل الحضارة الغربية نفسها بين الشيوعية الاشتراكية والرأسمالية، فلعل من أهم المفكرين الذين تحدثوا ونظروا لصراع الحضارات، هو" **فرانسيس فوكوياما**"، الذي تحدث عن" نهاية التاريخ"، أي الانتصار النهائي للرأسمالية الليبرالية، وفوزها المنفرد على باقي الحضارات الأخرى وعلى مختلف الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية المنافسة، منهية بذلك عملية الصراع الحضاري بين الشعوب والمجتمعات، وحصولها على الاستقرار الأبدي، وعليه ينظر" فوكوياما "إلى الليبرالية الرأسمالية على أنها هي الوحيدة القادرة على إنهاء الصراعات في العالم، وتحقيق السعادة للبشرية، حيث يقول في كتابه" نهاية التارخ وختام البشر.." :"ومن المحتمل، في حالة استمرار سير الأحداث على النمط الذي سارت عليه خلال العقود القليلة الماضية، أن تصبح فكرة التاريخ العام والغائي للبشر الذي يؤدي بنا إلى الديمقراطية الليبرالية، أكثر قبولا لدى الناس، وأن يحل مأزق النسبية الذي يواجه الفكر الحديث نفسه بنفسه على نحو ما) "...فرانسيس فوكوياما،(293 :1993

إلا أن هناك مفكرا آخرا، يعارض هذا الطرح بشدة، وهو" **صامويل هانتنجتون**"، صاحب عبارة "صراع الحضارات"، والذي يرى بعكس فوكوياما، أن نهاية التاريخ لن تكون بانتصار الرأسمالية على المعسكر الاشتراكي، بل على العكس، وجد فيه بداية أو تبلورا لصراع آخر" :صراع الحضارة " اليهو/مسيحية) اليهودية المسيحية (في مواجهة" الحضارات "الشرقية :الإسلام والبوذية وغيرها .بالنسبة لها نتنجتون إذا مازال تاريخ الصراع مفتوحا، ومازالت الرأسمالية متوترة ولم تنجز استقرارها الكامل) .نادية محمود مصطفى،(3 :2006

وفي هذا السياق نجد أن أحد المفكرين المسلمين يقول .."": لقد كانت قيادة الدنيا، في وقت ما، شرقية بحتة، ثم صارت بعد ظهور اليونان والرومان عربية، ثم نقلتها النبوات إلى الشرق مرة ثانية، ثم غفا

الشرق غفوته الكبرى، ونهض الغرب نهضته الحديثة .. فورث الغرب القيادة العالمية، وها هو الغرب يظلم ويجور، ويطغى ويحار ويتخبط، فلم تبق إلا أن تمتد يد شرقية قوية) " ...حسن البنا، (68 :2002

وفي الحقيقة عرف العالم مع انهيار الاتحاد السوفيتي وفوز أميركا بالحرب الباردة، عصرا جديدا تماما، هو ما يسمى بـ" عصر العولمة"، ويتميز هذا العصر بمحاولة هذه الدولة القوية نشر نموذجها الحضارى والثقافي، بل وفرضه أحيانا بالقوة على بقية الشعوب والمجتمعات في العالم، مستعملة في ذلك ترسانة قوية من التكنولوجيا الاتصالية، والقوة الاقتصادية والمالية وحتى العسكرية في بعض الأحيان، في محاولة منها لبسط سيطرتها على العالم، والقضاء على جميع الخصوصيات الثقافية في مختلف المجتمعات المحلية، واستبدالها بثقافتها الخاصة، إلا أن هناك من الباحثين في التاريخ والأنتروبولوجيا من يقول أن العولمة ليست هي" الأمركة "بل أنها عملية تاريخية طويلة المدى) .جان ندرفين بيترس، 2015: 47)

وفي مقابل مصطلح" **صراع الحضارات**"، ظهر مصطلح آخر يحاول القضاء أو حتى التخفيف من شدة هذا الصراع، وهو مصطلح" **حوار الحضارات**"، الذي يدعو إلى تلاقح الثقافات، وتقارب الأفكار والتبادل التقني والتكنولوجي، والتعاون السياسي والعسكري والأمني، لمحاربة الأخطار المشتركة، ومن أجل التجسيد الفعلي لهذه الأفكار، حيث أقيمت العديد من اللقاءات والمؤتمرات والملتقيات في مختلف بقاع العالم، برعاية جهات دولية وعلمية مختلفة، حكومية وغير حكومية، تدعو جميعها إلى حوار الحضارات بدل صراعها، وتعاونها بدل تحاربها، وتقاربها بدل مقاطعتها وتباعدها، لكن هذه المساعي والمحاولات عرفت الكثير من العراقيل والمعوقات، نبعت أساسا من الاختلاف في طرق التفكير والتعاطي مع الأمور، فكما سبق القول أن لكل ثقافة خصائصها، سواء كانت ايجابية أو سلبية، وأن عملية التلاقح بين ثقافتين تتطلب مبدأين أساسيين، هما تقبل الآخر كما هو أو على الأقل احترامه، وتقديم بعض التنازلات، حتى تسير قناة الاتصال، أي الابتعاد عن الاتهامات والتجريح والتركيز على السلبيات، والتذكير بالأمور التاريخية السيئة بالنسبة لطرف ما .

وفي هذا يقول" روجيه غرودي "في كتابه" **في سبيل حوار الحضارات**..": "وبهذا" الحوار بين الحضارات "وحده يمكن أن يولد مشروع كوني، يتسق مع اختراع المستقبل، وذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع) "..روجيه غرودي،(10 :1999

2-أسس الحوار الحضاري عند العرب:

لاشك أن لكل حوار في العالم أسسا يستند إليها ومقومات يقوم عليها، مهما اختلف موضوعه، ومهما كانت أهدافه، ولاشك أن لحوار الحضارات أيضا أسسا يقوم عليها عند العرب وعند الغربيين، ويمكن التعرض لهذه الأسس عند العرب المسلمين، كما يلي:

أولا – دراسة نقاط القوة ونقاط الضعف:

تعتبر عملية نقد الذات ومعرفة نقاط القوة والضعف بالنسبة للعرب المسلمين، نقطة أساسية قبل القيام بأي خطوة من خطوات الحوار مع حضارات الآخرين، لأن من لا يعرف نفسه جيدا لا يستطيع أن يعرف الآخر جيدا، ولا يستطيع التعامل معه بالأسلوب الصحيح الذي يحقق الأهداف التي يرجوها منه.

وكما يقول أحد الباحثين ":إن من أهم أسس الحوار" النقد الذاتي"، فداؤنا في نفوسنا وذواتنا، ونبقى مهمشين مفعول فينا، وبعيدين عن متطلبات المشاركة والمساهمة الايجابية في أحداث العالم، ما لم نغير ذواتنا ونراجع أنفسنا) ."هنية مفتاح أحمد القماطي، د.ت (4-3 :

وإذا أردنا أن نقوم بعملية تحليلية لوضعية العرب والمسلمين الآن، فسنجدهم منقسمين إلى طوائف ومذاهب دينية متعددة، أغلبها في صراع وتناحر قد يصل إلى الدموية في الكثير من الأحيان، وهذا من الأمور التي لا تشجع أبدا على الحوار مع الآخر، فكما يقول أحد المفكرين العرب : .."فالعلاقات بين المسلمين مذاهب ومجتمعات، تشهد في الوقت الراهن، ً تراجعا حادا وخطيرا، وصلت في بعض الحالات إلى درجة النزاع والتصادم، وكادت ّ تفجر ولأول مرة في تاريخ المسلمين حربا دينية، على صورة ما حدث في تاريخ العالم المسيحي القديم"...،) زكي الميلاد، (7 :2015 فقبل أن نحل مشكلاتنا مع الحضارات الأخرى، يجب أن نحل أولا مشكلات الطائفية والمذهبية، هذه المشاكلات التي باتت تشكل عائقا حقيقيا أمام الحوار الحضاري، وهنا نجد سؤالا يطرح نفسه بنفسه، بأي منطق حتى لا أقول بأي مذهب ديني سنحاور الآخر؟ هل بمنطق أهل السنة والجماعة؟ أم بمنطق أهل الشيعة؟ ومن يقول أن المنطق هنا واحد وهو منطق الاسلام، فنحن نقول أنه ليس واحدا تماما، وإلا ما حدث ما حدث عبر التاريخ، ولا تزال آثاره حتى الآن، ولهذا على المسلمين أولا أن يحاولوا حل مشكلة الاختلافات الدينية والصراعات الطائفية أولا، حتى يقتنع الآخرون بأنهم يتحاورون مع كيان موحد غير مشتت، ولا منشق على بعضه البعض، مما يضمن نتائج الحوار وضماناته .

بالإضافة إلى الجوانب الدينية والعقائدية، تتميز أيضا معظم المجتمعات المسلمة والعربية بشكل خاص، بالتخلف في مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وحتى الثقافية في بعض الأحيان، مما يجعلها في موقف ضعيف نوعا ما أمام الغرب المتقدم في كل المجالات تقريبا، ولهذا نجد أنه من الضروري جدا العمل على محاولة إيجاد حلول لهذه المعضلة، خاصة محاولة إقناع الغرب بأن سبب هذا التخلف بالدرجة الأولى هو الاستعمار وليس الإسلام، وأن هذا ما يثبته التاريخ، حيث أن سبب قيام الحضارة في بلاد العرب كان الإسلام، فالإسلام عامل من عوامل التقدم والتحضر، وليس عاملا من عوامل التأخر والتخلف .

ثانيا –دراسة الغرب ومحاولة ايجاد السبل للتفاهم معهم :

تعتبر محاولة فهم الحضارات الأخرى، والاستعداد لتقبلها من أهم أسس نجاح الحوار معها، فلا شك في وجود تباين واضح بين عقول الناس، ومدركاتهم وقابليتهم للاختلاف، إلا أن للحق معالم بارزة،

وللصراط المستقيم منارات هادية، فالغاية من الحوار هي إقامة الحجة، ودفع الشبهات وكل فاسد من الأقوال والآراء، وهو تعاون من المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كلّ طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق،) سمية حسن عليان، 2010: 122(فلا إكراه في الدين، مما يترتب عليه عدم كره الأخر، واعتباره عدوا بالضرورة، فليس كل غير المسلمين أعداء، خاصة أولئك الذين لم يبادروا بالعداوة، كما ينص على ذلك القرآن والسنة، ومن هذا المنطلق نجد أن المجال سيفتح تلقائيا لتقبل الآخر، إلا أننا نجد بعض المتعصبين في المجتمعات العربية، ينظرون إلى غير المسلمين بنظرة كفار قريش، الذين حاربوا الاسلام بكل ما أوتوا من قوة، حتى أن بعض التيارات المتطرفة تبيح دمهم وتعتبر نساءهم وأموالهم غنيمة، وأن سرقتهم حلال وإلحاق الأذى بهم نوعا من أنواع الجهاد، فإذا كانت هذه نظرة هؤلاء المتعصبين ضد الحضارة الغربية، فبماذا ينتظرون أن يبادلوهم هذه المشاعر، خاصة وأنهم الأقوى والأقدر على إلحاق الأذى، بفعل قوتهم الاقتصادية والعسكرية، فهؤلاء المتعصبين بأفكارهم وأفعالهم تجاه الغرب، يُعطون بذلك مبررا للتيارات المتعصبة في هذه المجتمعات التي تدعوا إلى محاربة الإسلام باعتباره عدوهم الأول، والخطر المستقبلي على وجودهم وأمنهم ومصالحهم، مغلقين بذلك كل قنوات الحوار بين الحضارتين، ومغذين أكثر لروح العداوة بين المجتمعات، ومحبطين بذلك كل محاولات التقارب التي يبذلها العقلاء من الطرفين .

ثالثا –العمل تحسين الصورة النمطية للمسلمين خاصة من خلال وسائل الاعلام:

في الحقيقة أن تاريخ كراهية الغرب للمسلمين يرجع لعصور قديمة، حيث يرتبط ذلك بأسباب كثيرة ومتنوعة، وفي هذا يقول أحد الباحثين.." :ويمكن إجمال تاريخ متغيرات الصورة الغربية عن الإسلام بشكل مكثف بأنه مع مطالع العصور الوسطى كان ينظر إلى المسلمين على أهم» مجرد كارثة«، ولم تصبح الصورة أكثر دقة إلا في القرن الحادي عشر؛ ولم تبرز صورة الإسلام نتيجة الحروب الصليبية؛ بقدر ما برزت نتيجة الوحدة الأيديولوجية التي تكونت . ببطء . في العالم المسيحي اللاتيني، وقد أدت هذه الوحدة إلى رؤية أوضح لمعالم العدو، كما أدت إلى تضافر الجهود نحو الحروب الصليبية "...)معتز الخطيب،(42 :2008

لاشك أن الصورة السيئة التي تقدمها وسائل الاعلام الغربية عن المسلمين، بأنهم إرهابيون ومجرمون ويشكلون خطرا على الإنسانية، وأنهم هم السبب في حالة عدم الاستقرار في العالم، مبررين ذلك بأن أخطر الحركات الارهابية في العالم مصدرها الإسلام، وليس فقط بعض التيارات المتعصبة فيه، دورا كبيرا في تشويه صورة المسلمين في نظر المجتمعات الغربية، مما يجعلهم يترددون كثيرا في فتح قنوات الحوار مع أفراد هؤلاء المجتمعات الإسلامية، التي هي في نظرهم متخلفة وعنيفة ومتعصبة، ويصعب جدا التفاهم معها، وهذا ما يجعل المهمة أكثر صعوبة أمام المجتمعات العربية خاصة والمسلمة عموما، في تغيير هذه الصورة القاتمة التي تشكلت في أذهان أفراد هذه المجتمعات، إلا أن علم الاعلام

والاتصال ابتكر طرائقا وأساليبا علمية جديدة وكثيرة، لابد من الاستعانة بها في تغيير هذه الصورة، حيث نجد أن الباحثين المختصين في مجال الاعلام الجديد يقولون.." :ان الإعلام الحديث يعتمد على تزويد الناس بالمعلومات السليمة والحقائق الثابتة، التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، وهو ما يعني إن الغاية الوحيدة من الإعلام هي الإقناع عن طريق المعلومات والحقائق والأرقام والإحصائيات"..،) إنتصار إبراهيم عبد الرزاق وآخرون، (104 :2011 فالمعلومات الخاطئة والمغلوطة وأحيانا المفبركة التي تنشرها وسائل الاعلام الغربية، هي من شوهت صورة المسلمين في أذهان الغرب، وجعلتهم يظهرون كأناس غير متحضرين ولا يفهمون سوى لغة العنف، فمن الصعب جدا الحصول على إحترام الحضارات الأخرى، والوصول إلى نتائج ايجابية معهم، وهم يحملون هذه الصورة النمطية التي تجعل أي محاولة للحوار مصيرها الفشل مسبقا، لأنه لا توجد أي حضارة في العالم تتعايش مع ثقافة تحمل كل هذا القدر من العنف والتعصب والكراهية والعدائية تجاهها، فالحوار الحضاري السامي لا بد له من ضوابط ومنطلقات حتى يؤتي ثماره، ولا تكون النتيجة عكسية أي المزيد من الشقاق والخلاف.

رابعا –المبادرة بحسن النية والسعي للتفاعل الايجابي مع الغرب :

إن إظهار الحق وإيصاله للآخرين وإقناعهم به يحتاج إلى معرفة طبيعة النفس البشرية، وما يصلح لها وما يسؤوها، ومن أهم سمات النفوس أنها "تميل إلى اللين والملاطفة والتعامل بالحسنى، وتنفر من الشدة والإذلال، إذ إن لها كبرياء، فمن أكرمها فإنه يستطيع أن يقودها ويسيربها كيفما شاء، ومن خدش كبرياءها فلن يظفر منها بطاعة ولا تصديق، ولا شك أن القلوب تميل إلى من يلين ويرفق بها، وتنفر الطبائع البشرية من الفظ الغليظ، حتى لو كان من خير الناس) ."سمية حسن عليان، :2010 124)

يعتبر مبدأ إظهار النية الحسنة للتفاعل والتعاون الايجابي مع الآخر، من أهم الأسس في نجاح أي حوار حضاري، فغالبا ما يبوء الحوار بالفشل إذا أحس أحد الطرفين بسوء النوايا أو أي محاولة للاستغلال السياسي من طرف الآخر، ولهذا يتعين على المجتمعات العربية المسلمة إبراز مبادئ الدين الاسلامي وقيمه، التي تدعو للسلم والتسامح والتعايش مع الديانات والحضارات الأخرى، فالحوار والدعوة بالحكمة والموعضة الحسنة، يعتبر من أهم مبادئ الدعوة الإسلامية، كما يتوجب عليهم الاستشهاد بالتاريخ وصفحاته المشرقة، التي تبرز النماذج المشرفة التي قدمها المسلمون في التعايش مع غير المسلمين، عندما كانوا في أوج قوتهم، كما فعل عمر بن الخطاب ومن بعده صلاح الدين أيوبي مع المسحيين في بيت المقدس، فهذين النموذجين يشكلان تجربتين حضاريتين ملموستين، تدلان على صدق نوايا الاسلام والمسلمين تجاه الآخرين، فيجب التركيز على أن الاسلام يقوم على المبادئ التالية" :لكم دينكم ولي دين"،" لا اكراه في الدين"،" ادعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة..."

كما أنه على المسلمين بالمقابل التأكد من الأهداف الحقيقة للطرف الآخر، حتى لا يقع في فخ تقديم التنازلات دون مقابل، ففي هذه النقطة بالذات، نجد أن هناك بعض الأطراف في العالم لا يسعدها بل لا يخدم مصالحها نجاح حوار الحضارات في العالم، لأنه يولد السلم والتعاون والتعايش ويقضي على الحروب والتوترات والإرهاب .

خامسا –إيجاد لغة حوار يفهمها الآخر:

إن المسلمين في الحاجة إلى خطاب إعلامي يتجاوز العاطفة، ومؤسس على الانفتاح النقدي مبدئيا، خاصة وأننا نعيش في فترة تتميز بتصاعد الحملات الإعلامية العدائية ضد الإسلام والمسلمين، عبر تمرير صور نمطية عن الإسلام، تختزله في ديانة تتبنى العنف وتحرض على التطرف، وتعارض الحداثة) .محمد بشاري،(16 :2004

حيث يُرجع الكثير من الملاحظين والمراقبين للغة الحوار مع الحضارة الغربية، عند العرب خاصة وعند المسلمين عامة، أنها تقوم على العاطفة والشعارات الرنانة والأصوات العالية والمعتقدات الغيبة، التي لا يؤمن بها أصلا غير المسلمين، بالإضافة إلى ما تتضمنه هذه اللغة من نزعات نرجسية ومكابرات عنادية، وكل هذه الأمور لا تخدم نجاعة الحوار ونجاحه في إيصال الأفكار، لأنها تنفر أكثر مما تدعو، وتبعد أكثر مما تقرب، كما أن الغرب لا يفهمون سوا لغة العلم والعقل والمنطق، وغير ذلك يعتبرونه مهاترة لا فائدة من ورائها، هذا بالإضافة إلى نظرتهم الاستعلائية للعرب والمسلمين، باعتبار أنهم الأقوى والأكثر تطورا وتقدما، خاصة على الصعيد العلمي والتكنولوجي، وأن العرب والمسلمين ليسوا أندادا للحوار، بل هم في الحقيقة بالنسبة لهم مجرد أتباع يشترون التكنولوجيا، بالثروات الطبيعية التي لديهم، والتي لم يبذلوا من أجلها أي مجهود يحترمون من أجله، بل أنهم من يستخرجونها ويكررونها ويصنعونها.

إن من يحاور الغرب، لا بد أن يضع في حسبانه هذه النظرة الاستعلائية، ويحاول تغييرها لكي يكون الحوار ناجحا، ويحقق الأهداف والغايات المرجوة منه، فللحوار الحديث أسسه العلمية المدروسة، وتقنياته الجديدة، التي أثبتت نجاحها في الكثير من التجارب والأبحاث التي قام بها الباحثون في علوم الاعلام الاتصال .

3 –أسس الحوار الحضاري عند الغرب:

في الحقيقة أن الحوار عند جل الحضارات الغربية في العالم، يقوم على مبدأين أساسيين، كما يؤكد ذلك كل العلماء والمفكرين، الذين اشتغلوا على تحليل ودراسة المجتمعات الغربية، وطريقتهم في التعامل مع الأمور، خاصة بعد عصر النهضة والثورة الصناعية، وهما مبدأ المصلحة والاقتناع عن طريق العلم والعقل والمنطق.

أولا –مبدأ المصلحة و الفكر المادي:

في الحقيقة يعتبر مبدأ المصلحة والفكر المادي عند الغربيين الأساس الأهم، بالنسبة لفتح أي قناة حوار مع المجتمعات الأخرى، حيث يقول في هذا المفكر الاسلامي" محمد عمارة "في كتابه" صراع القيم بين الغرب والاسلام.." :"يحدث هذا الصعود للامبريالية الغربية– في صورها الجديدة –والتصعيد الذي يفرض ويلقن هيمنة قيمها المادية الشهوانية على الحضارات الأخرى ..في الوقت الذي تصاعدت وتتصاعد فيه اليقظة الإسلامية، حفاظا على الوجود المتميز للهوية الإسلامية، واستجابة لسنن الله في التدافع الحضاري، وإدراكا لمخاطر هذا المد التغريبي حتى على الانسان الغربي ذاته ..وعلى ايجابيات حضارته..الأمر الذي زاد ويزيد من حدة الاستقطاب الثقافي بين المشروعين الحضاريين– المشروع الغربي ..والمشروع الإسلامي) "..محمد عمارة،(5 :1997 ، وفي نقد الفكر المادي للغرب يقول" علي عزت بيجوفيتش "في كتابه" الاسلام بين الشرق والغرب.." :"فالانسان لايصلح لأن يحي بحواسه فقط، كما تزعم المادية :الرغبة التي لا تحقق تسبب الألم، والرغبة المحققة تولد شعورا بالاشباع) "..علي عزت بيجوفيتش،(125–124 :1994

فالغرب لا يحاورون غيرهم إلا إذا كانت لهم مصلحة ما في ذلك، وربما يكون هذا الأساس مشتركا مع المجتمعات العربية الاسلامية أيضا، لأنه يتوافق مع الطبيعة والفطرة الانسانية في كل مكان وعبر كل زمان، لهذا يقتضي هذا الأساس إبراز الفائدة الكبيرة، التي ستجنيها كل من المجتمعات الغربية والمسلمة، من أمن وسلم وتعايش وتبادل اقتصادي وتجاري ناجع، فنجاح الحوار وتحقيق نتائجه، يكفل توفير المناخ المناسب لكل هذا، وأن حالة التوتر والعنف وتهديد المصالح التي يشهدها العالم، ما هي إلا انعكاس لصراع الحضارات، الذي ترتبت عنه خسائر فادحة، دفعت مختلف المجتمعات الانسانية ثمنها، وبعضها مازال يدفع حتى الآن، والحروب الصليبية والحربين العالميتين الأولى والثانية والحرب الباردة والعولمة، خير دليل على ذلك، فالعولمة هي آخر أنواع الصراع الحضاري الذي عرفه العالم حتى الآن .)سليمان بن صالح الخراشي،(12 :2000

فرغم انتصار حضارة ما على أخرى، إلا أن هذا يولد أحقادا تترجم في شكل عنف وإرهاب وتهديد للمصالح،، خاصة بالنسبة للجاليات المسلمة المقيمة في الدول الغربية، وفي هذا يقول أحد المفكرين الغربيين" هانس بيترمارتن "في كتابه" فخ العولمة.." :"على هذا النحو تخلق الدول التي لا تزال تنعم بالرفاهية حتى الآن، توترات اجتماعية متصاعدة، ستعجز، عما قريب، هذه الدول والحكومات عن التخفيف من شدتها، فإذا لم تدرأ هذه المخاطر في الوقت المناسب، فسيتشكل حتما رد فعل اجتماعي مضاد) "...هانس بيترمارتن هارالد،(338 :1998 ، وهذا ما يؤكد أن نجاح الحوار بين مختلف الحضارات يشكل صمام الأمان، بالنسبة لحالة الأمن والسلم في العالم، حيث نجد أن كل الندوات

والمؤتمرات التي أقيمت في العالم، تركز على هذه الفكرة بالذات، لأنها تمثل النقطة الأساسية التي يجمع ويهدف إليها كل أطراف الحوار.

ثانيا –العلم والعقل والمنطق(التفكير العلمي) :

من المعلوم أن السبب المباشر في التطور العلمي والاقتصادي والتكنولوجي الكبير، الذي تمتاز به الحضارة الغربية، هو اعتمادها الكبير على العلم في حل مشكلات الحياة، وعلى لغة العقل والمنطق في فهم ودراسة الأمور، وأن إستعمال أي طريقة أخرى في إقناعهم، لن تكون ناجحة،) برتراند رسل، 1983: 19(حيث يقول في هذا" فؤاد زكريا.." :"وكل ما يشترط في هذا التفكير هو أن يكون منظما وأن يبنى على مجموعة من المبادئ التي نطبقها في كل لحظة دون أن نشعر بها شعورا واعيا، مثل مبدأ استحالة تأكيد الشيء ونقيضه في آن واحد، والمبدأ القائل أن لكل حادث سببا، وأن من المحال أن يحدث شيء من لاشيء) ."فؤاد زكريا،(6 :1978

وهذا ما نلاحظه من خلال استعمال منهج الاعجاز العلمي في الإسلام في عملية إقناع الآخر، حيث سجلت الاحصاءات هذا الأسلوب إرتفاعا كبيرا في نسبة معتنقي الاسلام من المجتمعات الغربية، خاصة بين العلماء والمفكرين منهم، الذين رؤى بحكم أن كل هذه الحقائق العلمية التي تحدث عنها القران والسنة، لا يمكن أن يعرفها شخص ما أمي في ذلك التاريخ الذي عاش فيه، وأنه لابد من وجود قوة خارقة وراء ذلك الشخص، تزوده بكل هذه الحقائق العلمية التي اكتشفت مؤخرا بفعل التقدم التكنولوجي الكبير الذي عرفته البشرية) .عبد الله بن عبد العزيز المصلح وآخرون،(332 :2008

وهذا ما يؤكد على أن فتح أي قناة حوار مع الغربيين، لابد أن تقوم على أساس علمي عقلي منطقي، لأن العاطفة والخطابات الرنانة لن تجد صدى عندهم، وبالتالي سيكون بالضرورة مصير هذا الحوار الفشل، ولكن نلاحظ مؤخرا بعض المحاولات لدى بعض المراكز الاسلامية عبر العالم، لتكوين دعاة مختصين في حوار الحضارات، مسلحين بأحدث طرق وأساليب الاقناع التي عرفها العلم الحديث.

4 – مقارنة بين أسس الحوار الحضاري عند العرب والغرب:

من خلال عرضنا السابق لمختلف مرتكزات الحوار الحضاري، عند كل من العرب المسلمين والغربيين العلمانيين، نجد أن هذه المرتكزات تعكس ثقافة كل مجتمع، فالمجتمعات العربية المسلمة تعيش في الوقت الراهن حالة من التخلف في كل المجالات تقريبا، ولهذا نجدها عاجزة عن معرفة ذاتها، ومعرفة نقاط قوتها وضعفها، بعكس المجتمعات الغربية التي تعرف نفسها جيدا، وتعرف أهدافها بدقة، وتسعى جاهدة إلى تحقيقها، كما نجد أن العرب والمسلمين في الحقيقة يفضلون معاداة الآخر، أكثر مما يحاولون فهمه ودراسته، ومعرفة نقاط قوته وضعفه للوصول إلى أفضل الطرق للتعامل معه، وتحقيق الغاية المرجوة منه.

كما أن الصورة النمطية الذهنية السيئة التي يحملها الغرب عن المسلمين، تمثل عائقا فعليا تجاه فتح أي حوار فكري أو حضاري معهم، حيث يقول" **تزيفتان تودوروف** "في كتابه" تأمالت في الحضارة والديموقراطية والغيرية "عن هذه الفكرة .." :ما قاد هذا الخوف إلى َشن حرب ّضد العرب ً بناء على مواقف وذرائع يشوبها الكثير من الالتباس والغموض، بحيث أصبح الغرب لا يرى المسلمين إلا من خلال الإسلام، كما عجز عن التمييز بين الإسلام، والإسلام ِيّ المتطرف والإرهاب .الشيء الذي جعل الغرب لاّ يفكِر إلا في استخدام القوة َكَرّد فعل على هذه البربرية المزعومة، فامتنع بذلك عن كل تحليل أو إجراء سياسي) "...تزيفتان تودوروف،(27 :2014

لهذا على المسلمين تدارك هذا الأمر والعمل الجاد والمتواصل لإزالة هذا اللبس، وتوضيح فكرة أن الارهاب ليس هو الإسلام، فالإرهاب لا دين له ولا ملة، وإنما هو عمل إجرامي يقوم به الناقمون على المجتمع وعلى نظمه السياسية في كل مكان في العالم، فالإرهابيون لا يحبون الحوار بقدر ما يفضلون لغة العنف والسلاح، فهم يستعملون أي غطاء كان سواء كان دينيا أو سياسيا أو أي شيء آخر، فيتوجب على المسلمين إظهار النية الحسنة تجاه الآخر، وقابليتهم للانفتاح عليه والتفاعل معه بما يخدم مصلحة الطرفين، فكلما كانت النوايا حسنة كلما صدقة لغة الحوار، وكلما صدقة لغة الحوار كلما تحققت الأهداف، وزالت النظرة الاستعلائية التي ينظر بها الغرب إلى المسلمين، ويستبدلونها بنظرة انسانية سامية تأخذ في اعتبارها الماضي والحاضر وأهم من ذلك المستقبل.

وبالإضافة إلى ما سبق، فيتوجب على المسلمين أن يأخذوا بعين الاعتبار أن أسس الحوار عند الغرب هي المصلحة بالدرجة الأولى، ولغة العلم والعقل والمنطق بالدرجة الثانية، فالغربيون ليسوا عاطفيون كالمسلمين، بل عمليون وعلمانيون وماديون ولا يؤمنون إلا بالملموس.

فحوار الحضارات في عصرنا هذا أصبح ضرورة ملحة تقتضيها الظروف الراهنة للعالم، الذي بات يتخبط في موجة عنف شديدة قضت على أسما قيمه الانسانية، بل أن بعض الباحثين يرون بوجوب التقدم نحو تحالف الحضارات وليس فقط الاكتفاء بتحاورها، وذلك من أجل إعادة تجديد البناء الحضاري للعالم أجمع، من أجل تحقيق غاية نبيلة وهي الأمن والسلام لجميع بني البشر،) عبد العزيز بن عثمان التويجري، (16 :2009 مهما كان موقعهم في العالم ومهما كان دينهم وعرقهم وجنسهم .

خاتمة:

يعتبر حوار الحضارات من أهم الموضوعات المعاصرة، التي لاقت رواجا في الآونة الأخير، خاصة بعدما زادت الفجوة بين الحضارتين الغربية والإسلامية، وبدأت تظهر بشدة مظاهر الصراع في أشكال مختلفة، مما أدى ببعض العقلاء من الطرفين إلى محاولة فتح قنوات حوار بين الحضارتين، والعمل على تعزيزها، بدلا من تأجيج الصراع ومحاولة الاستثمار فيه، كما تفعل بعض الأطراف من الجهتين، ولهذا حاولنا من خلال هذا العمل، تقديم رؤية أو دراسة نقدية، تسعى لإبراز الفرق بين أسس

العقلية والثقافية، التي يقوم عليها الحوار الحضاري والثقافي عند العرب والمسلمين، وبين الأسس العقلية والثقافية التي يقوم عليها الحوار الحضاري والثقافي، عند الغربيين غير المسلمين، من خلال التعمق في الأبعاد الاجتماعية، التي تقوم عليها ثقافة وطريقة تفكير كل من المجتمعين المختلفين، من حيث البنية الاجتماعية والتركيبة المجتمعية والجذور التاريخية .

وقد تم التوصول، إلى أن هذه الأسس عند العرب خاصة وعند المسلمين عامة، غالبا ما تبنى على العاطفة والتعصب، وعدم تقبل ثقافة الآخر،- ولو ادعوا غير ذلك -مما يصعب من عملية الحوار ويضعف من مساعيها، وفي مقابل ذلك، تبنى هذه الأسس عند الغربيين على النظرة المصلحية والاستعلائية، وربما حتى الإحتقارية للعرب المسلمين، نتيجة الصورة النمطية السيئة التي رسمتها لهم وسائل الاعلام الغربية، وأكدوها هم من خلال نزعاتهم الطائفية، وتعصبهم الفكري والديني وممارساتهم العنصرية، كما أن الغرب لا يؤمنون إلا بالمادة والملموس، ولا يحتكمون إلا للعلم والعقل والمنطق، وربما هذا على عكس الكثير من المسلمين، الذين يركزون أكثر على العاطفة، وعلى الروحيات والغيبيات في بعض الأحيان، مما قد يشكل صعوبة حقيقة وعائقا فعليا، أمام نجاح الحوار الفكري الحضاري بين المجتمعات الغربية، ونظيراتها العربية المسلمة.

*** قائمة المراجع:**

1- إنتصار إبراهيم عبد الرزاق وآخرون .(2011) **الإعلام الجديد ..تطور الأداء والوسيلة والوظيفة**، جامعة بغداد، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع.

2- برتراند رسل .(1983) **حكمة الغرب**، ترجمة فؤاد زكريا، الكويت، عالم المعرفة، ج1، فبراير .

3- تزيفتان تودوروف .(2014) **تأمالت في الحضارة، والديموقراطية، والغيرية**، ترجمة محمد الجرطي، قطر، وزارة الثقافة والفنون والتراث .

4 -توفيق محمد سبع) د.ت .**(قيم حضارية في القرآن الكريم :عالم ما قبل القرآن**، القاهرة، دار المنار، ج 1.

5-جان ندرفين بيترس .(2015) **العولمة والثقافة المزاج الكوني**، ترجمة خالد كسوري، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط 1.

6 -حسن البنا .(2002) **مجموعة الرسائل**، الإسكندرية، دار الدعوة، ط 1.

7 -سليمان بن صالح الخراشي .(2000) **العولمة**، السعودية، دار بلنسيه، ط 1.

8 -سمية حسن عليان .(2010) **الحوار الحضاري في القرآن الكريم**، جامعة أصفهان، مجلة ثقافات للدراسة والبحوث، العدد 14.

9 -روجيه غرودي .(1999) **في سبيل حوار الحضارات**، ترجمة عادل العوا، لبنان، دار عويدات للنشر والطباعة، ط 4.

10 -زكي الميلاد .(2015) **هل الأمة الواحدة أمر ممكن؟**، لبنان، مجلة الكلمة، تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، العدد69 ، خريف .

11-عبد العزيز بن عثمان التويجري .(2009) **الحوار وتحالف الحضارات**، المغرب، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ط.2

12 –عبد الله بن عبد العزيز المصلح وآخرون .(2008)**الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، السعودية، الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

13 –علي عزت بيجوفيتش .(1994)**الاسلام بين الشرق والغرب**، ترجمة محمد يوسف عدس، الكويت، نشر مؤسسة النور الكويتية، ط1.

14 –فؤاد زكريا .(1978)**التفكير العلمي**، الكويت، مجلة عالم المعرفة، العدد3، مارس .

15 –فرانسيس فوكوياما .(1993) **نهاية التاريخ وختام البشر**، ترجمة حسين أحمد أمين، مصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط.1

16 –محمد بشاري .(2004)**صورة الإسلام في الإعلام الغربي**، دمشق، دار الفكر، ط.1

17–محمد عبده محجوب .(2008)**الاتجاه السوسيوأثروبولوجي في دراسة المجتمع**، الكويت، وكالة المطبوعات.

18 –محمد عمارة .(1997)**صراع القيم بين الغرب والاسلام**، مصر، دار النهضة.

19 –معتز الخطيب .(2008)**ظاهرة الكراهية للاسلام :الجذور والحلول**، سوريا، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد 5، العدد السابع عشر.

20–نادية محمود مصطفى .(2006)**جدالات حوار /صراع الحضارات :إشكالية العلاقة بين السياسي –الثقافي في خطابات عربية وإسلامية**، القاهرة، مركز الحضارة للدراسات السياسية.

21– هانس بيترمارتن هارالد .(1998)**فخ العولمة :الاعتداء على الد وقراطية والرفاهية، ترجمة** :عدنان عباس علي، الكويت، سلسلة كتب عالم الفكر ، العدد238 ، أكتوبر22 – .هنية مفتاح أحمد القماطي)د.ت .(**أزمة الحوار الحضاري في عصر العولمة**، ليبيا، جامعة قاريونس .